خيانة يهوذا

نشيد لرومانس المرنم

عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه
الاب توفلاوس قادري ق ب

توطئة

شعل رومانس في اوربة الأدباء الاختصاصيين طيلة خمسين عاماً وحتى الآن لا يزال مجهولاً في بلاد هي أحق الناس بالتعرف اليه . فواجب على لبنان ان يدرس هذا الشاعر ويبرزه الى النور لينشله من ظلمة النسيان . فالشاعر رومانس وان كان مولده بحمص الا انه نشأ وترعرع في ربوع لبنان . وهنا في كنيسة القيامة ، هنا في بيروت مدينة النور والشرع والشعر تفتحت عبقرية رومانس ومن شواطئ لبنان اسمع الكون اناشيد الخلود فحملت الامواج اصواته الى البوسفور ، الى بيزنطية محط الجمال والفن والموسيقى ، فاسكر اهلها بصيته ثم ما عتم ان نزح اليهم على عهد الامبراطور انستاس الأول (٤٩١ ــ ٥١٨) .

غادر رومانس بيروت حوالى سنة ٥١٥ على اثر زلزال هدّم معظم المدينة وما فيها من معاهد ومعابد واندية ودور . فتركها وفي قلبه لوعة وحسرة وتأسف على المجد المكفن بالزلازل . ذهب اذن الى عالم جديد يفتتح الحصون الفكرية والقلاع الادبية وسلاحه عبقرية وقّادة وفكر مبدع وصوت خلاب ونبرات ساحرة قوية على الاخذ بترافق التقدم والفلاح . وقد بنى رومانس للصور هيكلاً من الشعر خالداً لا يزال يصارع الزمن مع الهيكل المجيد الذي شاده رفيقه في المجد يوستنيانوس الامبراطور (٥٢٧ – ٥٦٥) .

وشعر رومانس فتح جديد في عالم الادب . وقد اردت ان اعرّف ابناء لبنان بهذه العبقرية المجيدة التي نشأت وترعرعت في قلب لبنان ، مستودع الحقيقة ، وفي جبل الالهام وعلى شواطئ الموسيقى وفي سماء النقاء فهو – اذا قلنا الحق – من الشعراء العباقرة الذين حملوا مشعل النور وعلّم الجمال ونثروه على الكون

موجات وشعّات تفيض بالمجد والضياء . . .

عرف رومانس كيف يستسيغ الروح الشعرية اليونانية جمالها وموسيقاها وخيالها وشعورها فنحت من جبل الأولمب فناً جميلاً رائعاً وخلع عليه وشاحاً من الوحي الصافي وراح يوصي الاجيال بهذا التراث. وقد نقله لها على سواعد الشعور واجنحة الخيال وسركبة الحقيقة الأزلية فحمل الخلود قوى الحياة كامنة في صور الحروف ورنة الالفاظ ووثبة الايحاء. فشعره لحظات من الزمن تمر فيها ملائكة من نور فتهمس في مسامع الكون وحياً هو من اصوات الازل وتشرق في فؤاد الشاعر شعاع السنى المتألق ، فيدفقه رومانس على مسمع الهدايا ومشاهد الطبيعة موجات من الضياء وينثره في الفضاء. نغمات من الايقاع الدقيق فيسكر الملأ بخمرة الشعر ونغمة الانشاد يترقرق متساوقاً في الافق السحيق. ولا يلبث هذا النغم ان يشق الاجواء. فيمزق ما تبقى من الحجب الكثيفة بين المادة والروح فيصل السماء بالارض ويزول الزمن المتقطع ويفنى ولا يبقى سوى الخلود الثابت.

وان يمتّ رومانس بصلة الى الشعراء اليونان ببسطة جناحيه وخصب خياله وموسيقى الفاظه فله وثبات جريئة من الالهام وخيال جسور وريشة ساحرة يلوّن بها بعض المشاهد الجيارة واللوحات المدهشة كأنه واحد من الانبياء العظام يأخذ عنهم صور الحياة وفكر الازل فيقترب بها من الجمال المطلق.

ويستعيض بالاوضاع اللفظية عن الالوان فيخرج المشاهد والصور بعيدة عن الابتذال فهو ككل شاعر عبقري يرقى بقارئه الى عالم الفكر والنور حيث ينتشر الجمال مع تموجات الخلود .

جمع رومانس البساطة الى العظمة والسهولة الى السمو والجديد الى القديم: مزايا تقوبه من القلوب والعقول فيتذوقه الشاعر والمفكر والاديب والروحاني المتصوف . فهو بلغته وتعابيره من ابناء اليونان ومن سكان الاولمب ولكنه بروحه من ابناء النصرانية المنطلقة على القيم الروحية. وقد شق له سبيلاً جديداً في عالم الشعر اليوناني الحديث فوزن اناشيده حرة من القيود العروضية الكلاسيكية ، وربط مقطوعات قصائده بالوزن الطليق فتأتيه تارة رصينة مهيبة تسير بخطى بطيئة وطوراً تتدفق كالموج الصاخب بابيات رشيقة قصيرة .

كل يعلم ان الشعر اليوناني القديم يقوم على قاعدتين : احداهما ناتجة عن تتابع المقاطع الطويلة والقصيرة ، والاخرى ناتجة عن ايقاع النبرة الصوتية . فالقاعدة الاولى كانت ولم تزل وقفاً على النفوس اللطيفة والعقول الرهيفة ، وقفاً على نخبة الادباء . بينما ان الايقاع كان من تراث الجماعات يؤثر فيها ويستدعي هتافات الشعب واعجابه . . . ولما ارادت المسيحية المنطلقة على الجمال ان تعطي اوضاعها وحقائقها ومعتقدها الصوغ الشعري أستبقت لها الايقاع ذلك التراث الشعبي وحافظت على النبرة الصوتية اعتقاداً منها ان النبرة الصوتية هي العنصر الاساسي في ميزان الشعر الحق .

ولم تلتفت المسيحية المتحررة من الحرف القتال، لم تلتفت الى تتابع المقاطع الطويلة والقصيرة فهذه القاعدة بدأت في القرن الرابع تفقد من روّادها حتى في المجتمع الراقي والمحيط الادبي . وقد اصبحت عاجزة عن أداء دقائق علم اللاهوت والحقائق المسيحية الموزونة بالفاظها وصيغها . وكان الحفاظ على دقائق هذه الحقائق اشدّ ضرورة من الحفاظ على تتابع المقاطع الطويلة والقصيرة .

غير ان شعراء النصرانية في القرون الاربعة الاولى وطّدوا دعائم الشعر الجديد على قاعدتين راسختين : الاولى مساواة عدد المقاطع (Isosyllabie) والاخرى ملازمة النبرة الصوتية للمقطع المقابل في الابيات المتساوية عدداً (Homotonie).

وعلى هاتين القاعدتين نظم رومانس نحواً من الف قصيدة وارتقى بهذا الشعر الجديد الى ذروة الفن . وربما كان لرومانس دليل في هذا السبيل وجده في شخص الشاعر اليوناني بندار الذي سبق رومانس الى التفلت من بعض القيود العروضية وقد لُقب بحق « بيندار الايقاع المسيحي »[1] .

نظم رومانس قصائد عديدة والقصيدة تتألف من نحو ثلاث مئة بيت او اكثر وربما بلغت السبع مئة بيت . وهي تتركب من مقطوعات (Strophes) يزيد عددها على خمس عشرة مقطوعة ، وغالباً تكون اربعاً وعشرين واحياناً ثلاثين مقطوعة . والمقطوعة مزيج من الابيات المتنوعة وعددها من الثلاثة الى الثلاثين بيتاً . والبيت ذاته يتألف من مجموعة اهجئة او مقاطع (Syllabes)

1) Cf. Krumbacher, *Geschichte der byzantinischen Litteratur*, p. 663.

فيكون البيت من مقطعين وثلاثة حتى اربعة عشر مقطعاً ، ونجد ذلك في الأدب الافرنسي وخصوصاً في ادب لافونتين . وينبع رومانس في كل ذلك حاجات النفس من شعر وموسيقى وخيال ويلائم الفاظه بمعانيه فتأتي اغلب قصائده مهلهلة كانها الماء السلسبيل وتنسجم الفاظه بصور الحياة وتحس من خلالها نبضات القلب ترافق الشاعر في فرحه وحزنه ويأسه وشدته كما في نشيد «خيانة يهوذا» الذي نزفه الى القراء الكرام ليطلعوا على الحقيقة.

يتألف هذا النشيد من ثلاث وعشرين مقطوعة وله مقدمتان الاولى « ايها الاب السماوي » وهي صلاة بسيطة صغيرة تظهر منزلة عن بقايا المقطوعات وهذا امر نادر عند رومانس .

والثانية « ايها المسيح الاله » موضوع النشيد وعرض الاشخاص والمكان كما في سائر المقدمات وانما يُلاحظ في هذه المقدمة ان رومانس لم يخلق الوزن كما قد تعود بل صاغ نشيده هذا على وزن قديم للراهب كيرياكوس وقد عنون رومانس نشيده بهذه الفقرة Προς τον Λεζαρον τον φιλον σου .

وان يكن الوزن غريباً عن ابداع رومانس فقد اعطاه صبغته الموسيقية فوشاه بالايقاع والجناس الغني وتموج النبرات الصوتية والمقاطع المتساوقة والمتقابلة على ابعاد قريبة بعيدة وقد شبك هذه المقطوعات بحسن التوقيع الموسيقي ولاءم الالفاظ بالمعاني فأتت ابياته تتدفق حيناً كالسيل الصاخب وتسكب احياناً اخرى في قالب مُقتضب يتقطّع معه النفس تقطُّعَ الالفاظ المعبرة عن الثورة النفسية التي تولدها خيانة يهوذا في قلب الشاعر فيأتينا بهذا الشلال من الافعال اليونانية المتعاقبة على قسوة وألم في التعبير عما يصخب في اعماق نفسه :

الرب غسل وأطعم	Νίπτων, ἔθρεψεν ὁ Κύριος.
الخادع عدا وعوى	Ἥρπαγεν, ἔφυγεν ὁ βάλτος.

وترتبط هذه المقطوعات بالتوزيع (Acrostiche) وبالجناس المتولد من عدد المقاطع المتساوية وترديد النبرة الصوتية ترديداً محدوداً على ابعاد متساوية من المقاطع. وترتبط ايضاً بالقافية الغنية ولا تسيطر على آخر الابيات فحسب بل على اواسطها ايضاً وربما كان للبيتين المتساويين ثلاث قوافٍ كما في المثل السابق .

وربما شبك الشاعر رومانس ابياته بالقافية الغنية كما في المقطوعة الاولى :

من يسمع ولا يذهل : Τίς ἀκούσας σὰν ἐκφρανθῇ :
من يرى ولا يرتعد : Ἢ τίς θεασάμενος σὰν ἐκφοβηθῇ :

وهنا ايضاً يستعمل الشاعر القوافي الغنية في اواخر واواسط الابيات . وتتساوى النبرة الصوتية فتملو المقاطع المتقابلة .

وقد يصل الشاعر بيتين او ثلاثة بقافية واحدة :

يسوع يُقبّل بغشّ : Τὸν Ἰησοῦν φίλῳ φιλούμενον
المسيح يباع بجسد : Τὸν Χριστὸν φίλου πωλούμενον
الاله يمسك عن رضى : Τὸν θεὸν γνώμῃ κρατούμενον

وهذه القوافي الغنية لها ايقاعها اللذيذ ونغمها الجذاب فتشبه بعض الابيات من لزوميات ابي العلاء . فيلزم رومانس فيها ما لا يلزم لا مقطعين بل ثلاثة من القوافي ويضيف الايقاعَ الموسيقي الى تلك القوافي الرنانة فتأتي ابياته ملأى بالجوّ الشعري كما تثيره هذه « السينات » المتتابعة برقة ونعومة :

كيف السماء تثبت ؟ Πῶς οὐρανὸς στέκεται.
كيف الأثير يتماسك ؟ Πῶς ὁ αἰθὴρ συνέχεται.
وكيف العالم يستر ؟ Πῶς δὲ ὁ κόσμος ἔστη :

فجموع هذه المقاطع المتوازنة المتناسقة في قوافيها وفي حروفها الغنية بالحروف « السينية » تؤلف قطعة موسيقية عذبة تتطلي مع النبرة الصوتية المتقابلة جوًّا فسيحاً من الايقاع اللذيذ يخال السامع انه امام روضة يسمع فيها أغاريد الحساسين تستقبل الفجر في شهر ايار . أليس الشعر موسيقى ؟ اما هو ايحاء ؟ أليست الكلمات علامات حسية يستدل بها على المعاني ؟ أليست هذه الكلمات قيمة أدبية عندما تؤلف الاصوات ايقاعاً موسيقياً ساحراً ؟

ويوشي رومانس مقطوعاته هذه بجلل المعاني الرائعة والفتوحات الجديدة في عالم الشعر الجميل فيخلق الروعة ويسحر القارئ بابتكاراته الغنية وتحليله الدقيق . فهناك « يهوذا اللص يشحذ بالخفاء لسان الغش » وهناك المسيح « يغذّي عدوّ

حنانه » وهناك طغمات الملائكة تنظر من العلاء وتتعجب من تواضع وتقف متهيبة بخوف عندما تنظر الاله « منحنياً عن رضى ليخدم التراب المائت » . واننا نذهل من صراحة بطرس فنسمعه يصرخ : « لا لا ! فاليد التي أبدعتني لن تغسل قدمي الى الابد ! » لكنه يخضع اخيراً خوفاً من ضياع نصيبه في ملك يسوع فيترك بطرس « جابل العالم » يغسل اقدام « الاناء الخزفي ».

وهناك مشهد رائع وجذاب مشهد يهوذا الخائن يخرج من حظيرة المسيح ويتوجه نحو البهائم «ويترك الندي الغني الحلاوة » وهناك الطبيعة تشترك بالعاطفة مع الشاعر فيهيب بالارض والبحر : «اسمعي ايتها الارض وارتعدي، اسرع ايها البحر في الانهزام» ! ثم يظهر لنا الشاعر جنون يهوذا الذي باع الثروات والخيرات التي كانت بين يديه بشيء زهيد لا يوازي ثمن اي نبي من الانبياء. فكيف باله الانبياء. وجميل ايضاً ذلك المشهد الذي يصور لنا تلك السقطة الهائلة التي « سحقت يهوذا سحقاً وزجته في هوة الجحيم ». وجميلة المعاني التي تصور لنا يهوذا « ذئباً ضارياً هجم على الزعية التي كان فيها حملاً وها هو يأتيها كوحش مفترس » .

وشعر رومانس مزيج من الجمالات الرمزية والوضعية والعاطفية والغنائية والمسرحية . فهو اذن يمت بصلة قوية الى الاجيال كلها، وهو علاوة على ذلك شاعر الكنيسة الاوحد اتخذ الصرخ عن الجمال المطلق عن الخلود الثابت عن الحق الازلي عن الله .

قلنا ان رومانس شاعر رضي (Réaliste) يعني انه يسمي الاشياء باسمائها فاسمعه الان يوبخ يهوذا بأوصاف الشدة والقساوة :

« ايها الاثيم ، ايها القاسي ، ايها الحقود ، ».

« ايها اللص ، ايها الخائن ، ايها المحتال ». (مقطوعة ٥)

ثم يترك الشاعر غريمه جانباً ويسير في سرد الرواية وكل مرة يمر ذكر يهوذا او شبحه امامه يستوقفه ويصفعه هكذا :

« ايها النهم ، ايها السافل ، ايها الوقح ،

ايها اللهوم ، ايها الفاقد الضمير ، ايها البخيل! » (مقطوعة ١٥)

ورومانس شاعر رمزي يوحي الحقيقة ولا يعبر عنها بالفاظ خاصة فالحقيقة

في نظره ونظر الرمزيين حركة لا يريد ان يأسرها ومتى اسرت الحياة اختنقت وماتت . فاسمع الشاعر يرمز الى يهوذا بالحجر الاصم والى المسيح بالبحر:

« غسل البحر الحجر واللجة التراب »

« فثبت الكيان والجوهر حُصر وكشف المرام » (مقطوعة ٨)

واذا ما اراد الشاعر ان يشير الى بهيمية يهوذا الخائن قال عنه :

« واذ خرج من الحظيرة توجه نحو البهائم »

واهمل الشذي الغني الحلاوة .» (مقطوعة ١٢)

وقد تشتد عاطفة رومانس عندما يمر امامه شبح يهوذا فلا يمكنه ان يتصوره تصورًا بعيدًا بل يجتذد الحقيقة فيرى شخصه امام عينيه يرى وجهه ويسمع صوته ويحس بمدوه وعرائه فيعمد اذ ذاك الى تقويمه ولا يتركه الا بعد ان يفرغ عليه سيلًا من الاوصاف المريرة تحزّ قلب الشاعر حزًا [1] « اي خير لم تحرز ؟ وبأي خير لم تشترك ؟

لقد اضفت الى خيرات الارض خيرات السماء افالان تبيع الهك ؟ » (١٥)

وهنا وهناك وصف للطبيعة الثائرة تتأثر هي ايضاً من الخيانة وتنتفض من مكامنها صاخبة كأنها تريد الانفلات من نظامها لتقرع يهوذا على عمله الاثيم:

« من يسمع ولا يذهل من يرى ولا يرتعد؟...»

«اي ارض تتحمل الجسارة؟ اي بحر يمكنه ان يقاوم ؟...»

« كيف السماء تثبت ؟ كيف الاثير يتماسك ؟ »

« وكيف العالم يستمر عندما القاضي يقتل »

« ويباع ويسلم ؟ »

ولا يلبث رومانس ان يرتقي في سلم الكائنات فيعير الارضَ والبحرَ قلباً ونفساً وفكرًا فيدعوها كما لو كان يدعو انساناً :

اسمعي ايتها الارض ، وارتعدي !

اسرع ، ايها البحر ، بالانهزام ! » (مقطوعة ١٤)

وكأني بالشاعر رومانس ينظر من وراء تلك النفس الخائنة نفوس الخونة في الاجيال السحيقة فيدقق بتحليلها ويشبعها درساً وتفكيرًا فتأتي صورة الخائن

١) راجع المقطوعات ٥ و ١٣ و ١٥ و ١٧ و ١٩ .

ونفسية يهوذا كأنها نفسية الحوتة وتنجلي في يديه وتصقل نفوس كل الحوتة على مر الزمن فلا يرى فيها الا صورة الجنون والبغض الشديد

« ماذا ابصرت حتى صرت الى هـذا الجنون ؟ »
« مـا دهاك من الالم حتى وصلت الى هذا البغض ؟»(مقطوعة ٥)

ولا يابث الخائن ان يتحول الى ذئب مفترس الى جاهل متكبر :

« إرجع ايها الاحمق واصحُ ! امسك عن كبريائك »
« واحكم عزمـك الجسور واصلح اهواءك ! » (مقطوعة ١٧)

ولهذا النشيد بعض الصبغة المسرحية كما في اناشيد رومانس غير ان العمل المسرحي لا يأخذ مجراه بتتابع واندفاع بل يتقطع احيانـاً بسبب العواطف المتفجرة من قلب الشاعر . وقد تشتد عواطف الاحتقار ليهوذا فتنسي الشاعر متابعة مجرى الامور فيقف العمل الدراميتيكي ولا يتابع سيره الا بوثبات قوية متقطعة يغيب فيهـا الحوار ثم يعود الشاعر فيوبخ يهوذا الذي يريد ان يخنق اثمه ويتهدده بالنهاية المرعبة التي تنتظره فيلوح له امام عينيـه بصورة الشجرة التي يميت عليها نفسه ويخنق مع الموت ضميره وهكذا ينتهي النشيد بفاجعة مؤثرة .

اخيراً ان رومانس شاعر ديني ولكنه ليس بالمعلم اللاهوتي الكبير وانما يحتل ابياته وقصائده بعض الحقائق الدينية التي كان يوصلها الى مسامع الشعب عن طريق الانشاد ففي المقطوعتين ٩ و١٠ نراه يسمعنا تعليماً قيماً عن رئاسة بطرس فيقول :

واما بطرس رئيس احبائك وقـاعدة الذين يتبعونك
وقـائد جماعتك (مقطوعة ٩)

وهذه الحقيقة اللاهوتية تهم ارباب الشأن وهي شهادة من فم شاعر يوناني عاش طويلاً في قلب العاصمة البيزنطية ولا سيما ان هـذه الشهادة في رئاسة بطرس مثبتة بفم الرسول نفسه اثباتاً لا شك فيه :

« الا يكفي اني باسمك اسمى ؟ الا يكفي باني حزت الوقار بعينيك »
وباني ادعى الاول بين احبائك ! » (مقطوعة ١٠)

وهذه الشهادات في رئاسة بطرس كثيرة في اناشيد رومانس سوف نخصص لها درساً على صفحات هذه المجلة بعون الله ورعايته .

خيانة يهوذا

تئيد لرومانس المرنم

مقدمة اولى

ايها الآب السماوي ،
ايها الحنون ، يا محباً للانام ،
يا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيماً ، رحيماً ، رحيما !

مقدمة ثانية

ايها المسيح الاله ،
فيما كان يهوذا الأثيم
يغسل اقدامه
بيديك ، انت السيد ،
كان ، بما انه لص ،
يشحذ بالخفاء
لسانَ الغش
لكن نجنا
من مثل هذه القساوة ،
نجنا نحن المنشدين
في بيت والدة الاله :
يا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما!

١

من يسمع ولا يذهل؟
من يرى ولا يرتعد ؟
يسوع يُقبّل بغش [1] ،
المسيح يُباع بجسد ،
الاله يُسلك عن رضى ؟
اي أرض تتحمل الجسارة ؟
اي بحر يمكنه ان يقاوم
عندما يرى العمل الأثيم ؟
كيف السماء تثبت ؟
كيف الأثير يتماسك ؟
و كيف العالم يستمر
عندما القاضي يُقتل
ويُباع ويُسلّم ؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٢

عندما تأمل في الغش ،
عندما أعدّ لك القتل ،
فالذي أحببته أساء اليك ،
والذي دعوته أهملك ،
والذي توجته اهانك .
حينئذ شئت انت
ايها الحنون ، ايها الطويل الاناة ،
ان تظهر للقاتل
محبتك التي لا تُوصف .
فملأت المطهرة ،
وحنيت رأسك ،
وصرت عبدًا للعبيد ،
فاعطاك يهوذا القدمين
لكي تغسلهما ،
انت ايها المنقذ .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) متى ٢٦ : ٤٩.

٣

بالمياه رحضت اقدام يهوذا
المسارع الى تسليمك ،[1]
وبالطعام السرّي
غذوت عدوّ حنانك
والمتمري من بركتك !
رفعت المسكين بالمواهب
وزدت الفقير بالعطايا
اغنيت واسعدت
المتعبد للشياطين ؛
فكان تحت لسانه
عناء الوجع .
وبدلا من هذه كلها
قد انفصل القاتل
ولم يتب .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيا ، رحيا ، رحيا !

٤

من رأى الذي غسلت
قدماه يُسرع فيمتر ؟
أو من سمع ان الغنى
يحرق المتكل عليه
ويرمي به الى الحضيض ؟
الرب غسل وأطعم
والخادع عدا وعوى
كذئب مفترس .
وحينما كانت المائدة
بعد ملأى
بغتة هرب القاسي
من معلمه
وحنى ظهره
ليأتي الشيطان حقاً[2] .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيا ، رحيا ، رحيا !

---

١) متى ٢٦ : ٢٦

٢) لوقا ٢٢ : ٣

٥

ايها الاثيم ، ايها القاسي ،
ايها الحقود ، ايها اللص ،
ايها الخائن ، ايها المحتال ،
ماذا أبصرت حتى صرت
الى هذا الجنون ؟
ما دهاك من الأَلَم
حتى وصلت الى هذا البغض ؟
أما سمّاك صديقه ؟ [1]
اما دعاك اخاه ؟ [2]
وعلى الرغم من علمه
انك ستصير عبداً
سلم لأمانتك
كمية الدراهم
الموجودة في الكيس ، [3]
وفجأة ظهرت له
بلا وجدان في كل الامور .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٦

عندما قام الابن الوحيد
ليغسل الاقدام وينشفها
طلب بطرس اليه
قائلاً : « يا رب ، يا رب ،
انك لن تغسل قدمي ابداً ! » [4]
كانت المطهرة على الارض
وكانت ملآنة
فالمخلص قام
والمنقذ ترزح كعبد مبيع .
طغمات الملائكة
نظرت من العلا
وصرخت ذاهلة :
« ان السفيه لم يتأثر
لكنه تمرّد على نفسه . »
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) يوحنا ١٥ : ١٥ . ٢) مت ٢٣ : ٨ ٣) يوحنا ١٢ : ٦ ٤) يوحنا ١٣ : ٨

٧

ان الملائق النارية
وقفت متهيبة بخوف
والاجواق غير المنظورة
ذهلت حين شاهدت
من لا تدركه العقول
منحنياً عن رضى
ليخدم التراب المائت .
فقال جبرائيل برعدة :
ايها الملائكة القديسون ،
يا زملائي ،
انظروا واذهلوا
ان بطرس يمد رجله ،
ومن وُلد من حشا العذراء
يأخذ رجلَ بطرس
بيديه وينغسلها
ولا يغسل لبطرس فحسب
بل وليهوذا ايضاً .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٨

غسل البحرُ الحجر ،
واللجةُ التراب ،
فثبت الكيان
والجوهر حُصر
وكشف المرام .
الا انظروا وتأملوا
ما اعظم لطف الخالق !
ما اعجب رفق
المبدع بالخلائق !
انها تجلس وهو ينتصب
انها تقتذي
وهو يعطيها الطعام ،
انها تغتسل
وهو ينشفها ...
فلمَ لا تحترق أرجل الترابيين
في يدي النار ؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٩

هكذا نطق الملاك
عندما ابصرك انت الكرمة
التي تغذي اغصانها[1]
فتمد الى الارض كلها ،
وتصعد الى الملاء .
واما بطرس رئيس أحبائك ،
وقاعدة الذين يتبعونك ،
وقائد جماعتك ،
فعندما رآك موتّرزاً
قال باضطراب :
« أأنت تغسل قدمي ؟[2]
لا لا ! فاليدُ التي ابدعتني
لن تغسل قدمي الى الابد ! »
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١٠

فليأتِ اليَّ نعاسُ الموت
اذا سمحت لك انت غير المائت
ان تنحني اليَّ انا الخاضع للموت!
فالعدو يسخر مني
اذا انت أكملت لي هذا.
ألا يكفي بأني حزت الوقار امامك؟
وبأني ادعى الاول بين أحبائك ؟
أأنت ، يا جابل العالم ،
أأنت تغسل قدمي
انا الاناء الخزفي[3] ؟
أأنت ، ايها الفادي ،
تروم غسل اعضائي
الفاسدة ودموعي ؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما!

---

١) يوحنا ١٥ : ١ ٢) يوحنا ١٣ : ٦ ٣) رومية ٩ : ٢١

١١

بعد ان خاطب الرسولُ
معلمه بهذه الكلمات
سمع منه :
« ان لم اغسلك الآن
فليس لك معي نصيب[1]
وانما اسميك لي عدوًا ! »
وحينما قال الخالق هذا
وقع على التلميذ
خوف وارتعاش ،
ولذا هتف :
« ربي ! اذا غسلت
فلا تغسل قدمي فحسب
بل جسدي كله ... »[2]
اغساني كثيرًا ان شئت
لكي لا ابتعد عنك .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١٢

كم معجزات قد تلتها معجزات ،
ويهوذا ما غدا بعد خليلا !
كم من تعاليم
بيّنتها ظواهر الاعمال ،
والعدوُّ ما تنير
والقاسي ما لان !
لم ينتهِ بعدُ
من أكل ما أكل
ومن شرب ما شرب
بغير ايمان
حتى رفع عقبه على المسيح[3] ،
كما ذكر الكتاب .
واذ خرج من الحظيرة[4]
توجه نحو البهائم
وترك الثدي الغني الحلاوة .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) يوحنا ١٣ : ٨ ٢) يوحنا ١٣ : ٩ ٣) يوحنا ١٣ : ١٨ ٤) يوحنا ١٣ : ٣٠

١٣

عبثاً كان الشيطان
قد اهمل قدما
يهوذا المريع .
فها هو يسرع الآن
نحو الذي أهمله قبلا .
وباطلاً كانت تخافه الجماعات ،
فقد ظهر حسوداً في كل شيء
وجسوراً حتى على خالقه .
وحين كان يتكلم
عبثاً كانت تهرب
الأمراض كلها ؛
لان مرض الالحاد
وحب المال
كان قد تأصل فيه
اجل ! كان الجرح في داخله !
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١٤

نهض الخائن على الاقدام
وذهب فوراً لملاقاة الشيطان
وساومه مشورة القتل
فصادف الشيطان به وسيطا
يسلم المسيح كغريب .
« ماذا تريدون ان تعطوني؟ »[1]
هذا ما قاله للذين ارادوا
ان يشتروا دم الحي الثابت .
اسمعي ايتها الارض ؛ وارتعدي!
اسرع ، ايها البحر ، في الانهزام !
لانهم وافقوا على القتل ،
لقد حددوا ثمن
من لا يوازيه ثمن ،
ووافقوا على ذبح
الواهب الحياة .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) متى ٢٦ : ١٥ .

١٥

الآن ظهر حرصك ،
الآن بان نهمك ،
ايها النهيم ، ايها السافل ،
ايها الحقود ،
ايها الوقح ، ايها اللهوم ،
ايها الفاقد الضمير ، ايها البخيل!
« ماذا تريدون ان تعطوني ؟ »
انت تقول للذين ارادوا
ان يبتاعوا دم الحي الثابت .
اي خير لم تحرز ؟
وباي خير لم تشترك ؟
واي خير حرمت ؟
لقد أضفت الى خيرات الارض
خيرات السماء
والآن الآن ! تبيع الهك !
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

١٦

قد كنت تحمل الغنى كله ،
وكان عندك كنز لا ينفد[1] ؛
فالى الابد غدوت غنياً الى الابد ،
كانت الثروات بين يديك
حينما كنت تحمل الخالق
في الحجى .
ما دهاك ، ايها الشقي ،
حتى كفقير تسرع الآن
نحو الذين لا يملكون
شيئاً ليعطوك ؟
وما سيعطونك حقاً ؟
ماذا يقدمون لك
ثمن الذي بعته ؟
أيعطونك السماء والارض
وكل الكون ثمناً له ؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا .
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) لوقا ١٢ : ٣٣ .

١٧

إرجع، ايها الاحمق، واصحُ!
أمسك عن كبريائك،
وألجم عزمك الجسور،
وأصلح اهواءك!
وأنتم، ايها الجهال، تعقلوا!
فانت لا تستطيع
ان تقيّم الثمن
وأنتم أعجز عن شراء
من يحوي الكون بيديه.
واذا بعته انت
وان يكن عن غير رضاه
فمن يجسر ان يلقي
عليه اليدَ؟
من يلقي القبض عليه
اذا لم يرضَ هو كالله؟
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع،
كن لنا
رحيما، رحيما، رحيما!

١٨

فقيراً كان ايليا
لكنه كفني احرق بالنار
كل الذين كانوا يضطهدونه
في ذلك الحين
أحرق قائدَ الخمسين
مع خمسيه
والذين تعاقبوه[1].
لم يُغلب ايليا.
واما إله ايليا وسيده
فيمتهنه الوقح،
يا للجنون!
كان ايليا عبداً
لمن يباع الآن؛
واما الدافع فلا يعتبر
خالق الأنبياء
حتى ولا مثل نبي.
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع،
كن لنا
رحيما، رحيما، رحيما!

---

١) سفر الملوك الرابع ١ : ١٤.

١٩

ايها الاحمق ، كنت نشوان
من صلفك فلم تفكر
في أمر من بعثه برضاك .
فلو عرفت المعاهدات
لعرفت ايضاً من كان
موضوعَ المعاهدات .
انت اخذت ثلاثين
من الفضة[1]
فاحكم ، يا يهوذا ، وفكّر
مَن مِنَ الانبياء قد بيع
بهذا الثمن ؟
ان يوسف ذاك القديم
كان رسماً ليسوع[2]
الذي اخذت الآن ثمنه ،
ومع الثمن ورثت الجحيم ،
فكان لك احبولة للشنق[3] .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٢٠

يا رحيم ، يا رحيم ، يا رحيم !
آه ! كيف سقط التلميذ ؟
ومن أي الذرى قد تدهور !
أي سقطة سقط !
واي عجيج صنع !
قِدماً سقط الشيطان
وكان سقوطه كالبرق
واليوم ضارع
يهوذا الشيطان !
انه ترفّع على المسيح
ترفع حتى الاقطاب
فسحقت أقدامه سحقاً ،
وزُجَّ في هوّة الجحيم ،
فهناك يشبع ربحاً .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) متى ٢٦ : ١٥ . ٢) تكوين ٣٧ : ٢٨ . ٣) متى ٢٧ : ٥

٢١

اذن انى الاثيم راكضاً
وقبّل بغش
المحبّ البشر
فقتل عمداً
من باختياره رضي الالم .
تتلمذ يهوذا
كحمل للمسيح[1]
لكنه غدا ذئباً في الرعية
فجاءها كوحش مفترس .
أقبلة تقدم الآن ؟[2]
واي قبلة ، ايها الجاهل ؟
أقبلة الغدر ؟
الا تخجل ان تشابه
العدوّ فتتعلم طرقه !
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

٢٢

اصبر قليلاً ، ايها الجاهل ،
فترى الحكم الشديد .
ان ضميرك سيقضي عليك
فتعرف ما صنعت
وتُميت نفسك
الموت الشنيع .
وتفدو لك الشجرة جزاء[3]
وتحمل لك القصاص العادل .
فاين هو ربحك ،
ايها البخيل
انك ستؤدي هذا الربح ايضاً
ولا تخلص نفسك .
فتتوب ولكن في غير الاوان .
انت اسلمت الغنى الذي كان عندك
اسلمتَ المسيح ، غنى نفسك .
فيا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !

---

١) يوحنا ١٠ : ١ — ١٧ . ٢) لوقا ٢٢ : ٤٧ . ٣) متى ٢٧ : ٥

٢٣

قدوس ، قدوس ، قدوس ،
ايها الثالوث ، إله الجميع ،
نجِّ عبيدك من السقوط ،
وانهض جبلتك
لتهرب من الخطر .
ها قد علمنا هذا الامر ،
يا اخوة ، فلننتبه
الى سقطة الدافع ،
ولنثبت اقدامنا ،
ولنقوّم خطواتنا ،
لنسر على آثار
الخالق وشرائعه .
ولنهرب من طريق الجحيم ،
صارخين نحو القادي :
يا من يحتمل الكل
ويقبل الجميع ،
كن لنا
رحيما ، رحيما ، رحيما !